مخالفة الرسم العثماني
خرق للإجماع ومخالفة شرعية

الدكتور سعيد فكرة
أستاذ السياسة الشرعية ورئيس المجلس العلمي
بكلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية
باتنة

تمهيد

القرآن كلام الله المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، المتعبد بالتلاوة، المنقول إلينا بالتواتر لفظا وخطا، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بالمعوذتين.

وإذا، فالواضح من خلال هذا التعريف أن كلام الله، يجب أن ينقل كما نزل لفظا وخطا دون تحريف ولا تغيير ولا إبدال ولا إضافة ولا حذف، هكذا فهم السلف حقيقة القرآن وبذلك نقلوه إلينا بكل حيطة وحذر، وهو ما عليه اليوم وغداً وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون".

فحفظ الله للقرآن يتمثل في لفظه وخطه، هذا هو مذهب السلف، غير أنه من الملاحظ اليوم أن الاهتمام بخط القرآن عموما في غير المصحف أي في الكتب والمجلات والرسائل الجامعية، بات من الأمور التي يمكن التغاضي عنها ببساطة، الأمر الذي أثار في ذهني إشكالية مخالفة الرسم

العثماني بصفة قضية وهل هو من المسائل الجائزة شرعا التي لا خلاف فيها أم من الأمور الشرعية التي يجب الالتزام بها وعدم مخالفتها.

ولعلني من خلال هذه الورقات أُوفق إلى الإجابة عن هذه الإشكالية لبيان وجهة نظر الشرع في المسألة وقد رأيت أن هذه الإشكالية تعالج في المسائل التالية :

المسألة الأولى :

ـ كتابة القرآن وحفظه

نزل القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم منجما واعتمد جمعه على الحفظ والكتابة، حيث كان الصحابة يبذلون قصارى جهدهم في حفظه في الصدور كابرا عن كابر معتمدين في ذلك على كثرة تلاوته وقراءته ليلا ونهارا وفي كل مناسبة، حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه، أنه قال لأبي موسى الأشعري :"لو رأيتني البارحة وأنا أسمع لقراءتك ؟ لقد أُعْطِيْتَ مزمارا من مزامير داود" (1) وفي رواية مسلم فقلت :"لو علمت والله يا رسول الله أنك تستمع لقراءتي لحبرته لك تحبيرا" (2).

وقد كان صلى الله عليه وسلم يتعهد الصحابة بالاستماع لهم أحيانا وبإسماعهم القرآن أحيانا أخرى وصح عنه أنه قال لأبي بن كعب :"يا أبا المنذر إني أمرت أن أقرأ عليك القرآن..." (3)

وكان صلى الله عليه وسلم يأمر الصحابة بتحري الإتقان في تعليم القراءة وذلك بتلقيها عن المتقنين والماهرين.

وبهذا اشتهر عصر الصحابة بكثرة المحافظين للقرآن الكريم حفظا متينا وقد دفعهم إلى هذا توجيه النبي صلى الله عليه وسلم، وحبهم لحفظ القرآن، وتعلم أحكامه وكثرة اعتنائهم به، ذلك أنه، صلى الله عليه وسلم، كان كلما بعث سفراءه إلى القبائل لا يني أن يكلفهم بتحفظيهم القرآن ، فقد ورد

أنه صلى الله عليه وسلم بعث مصعبا بن عمير رضي الله عنه قبل الهجرة وبعد بيعه العقبة الأولى إلى المدينة، ليعلم الناس القرآن ويحفظهم إياه ، كما بعث سيدنا معاذ بن جبل بعد الهجرة إلى اليمن لتحفيظ الناس القرآن، وكان لهذا الأثر الكبير في تبليغ القرآن وتحفيظه. وكثر بذلك حفظة القرآن حتى صار عددهم لا يحصى، لكن ما إن جاءت معركة اليمامة وموقعة بئر معونة حتى قتل عدد كبير من حفظة القرآن، يروي لنا القرطبي فيقول :"قتل يوم اليمامة سبعون من القراء وقتل في عهد رسول الله ببئر معونة مثل هذا العدد".

وأما عن كتابة القرآن لحفظه وبقائه على صورته وشكله وتنظيمه وترتيبه ووضعه في مكانه، فقد عمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه إلى كتاب الوحي وأمرهم بتتبع القرآن ثم كتابته في صحف مرتبة ومنظمة؛ روى الشيخان عن أنس رضي الله عنه أنه قال :"جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة كلهم من الأنصار : أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد، قيل لأنس من أبو زيد قال أحد عمومتي".(4)

وإلى جانب هؤلاء كان ثمة كتاب للوحي يكتبون القرآن في صحف خاصة بهم احتفظوا بها بذواتهم وجعلوها صحفا تنسب إليهم مثل صحف ابن مسعود وعلي بن أبي طالب والسيدة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما.

ولما توفي رسول الله صلى الله علية وسلم كان القرآن قد اكتمل حفظا في الصدور وكتابه في الصحف، كل آية كتبت في موضعها الذي أشار به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث كان جبريل عليه السلام يعارض رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن كل سنة في ليالي رمضان. غير أن

السمة الغالبة في عصر النبي صلى الله عليه وسلم هي الاعتماد على حفظ القرآن في الصدور .

خلافة أبي بكر ـ الجمع الثاني:

ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام بالأمر بعده من هو أحق به أبو بكر رضي الله عنه وأرتد أقوام فقاتلهم الصحابة وقتل من الصحابة نحو الخمسمائة من حفظة القرآن الكريم، أشير على أبي بكر في البدء بجمع القرآن في مصحف واحد خشية أن يذهب بذهاب الصحابة، فتوقف حيث أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر بذلك، ثم شرح الله صدره واجتمع رأيه مع رأي الصحابة؛ يروي لنا البخاري القصة كما هي :"حدثنا موسى ابن إسماعيل ، عن إبراهيم بن سعد : حدثنا بن شهاب، عن عبيد بن السباق: أن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : أرسل إلي أبو بكر ، مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر رضي الله عنه : إن عمر أتاني فقال : إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن ، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن ، فيذهب كثير من القرآن ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن . قلت لعمر : كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال عمر : هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد : قال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتبع القرآن فاجمعه. فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن. قلت : كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ؟ قال : هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر

سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره : "لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم" حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنه.

ولم تكن الكتابة التي أمر بها الخليفة الأول الصديق رضي الله عنه بالشيء الهين ولا السهل بل اشترط فيها عدة شروط يرويها لنا أبو داود عن طريق هشام بن عروة عن أبيه أن أبا بكر رضي الله عنه قال لعمر ولزيد، أقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه"(5)

قال أبو شامة(6) الذي لا يعرف له خلافا : وكان غرضهم أن لا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم لا من مجرد الحفظ وقال السخاوي : المراد أنهما يشهد على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ورغم غلبة الضبط والعدالة على عهد الصحابة لم يكتف الصحابة لكتابة القرآن إلا بشاهدين ، وهذا فيه دلالة الحيطة اللازمة لكتابة كلمات القرآن كما نزلت وكما قررت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى هذا المنهج جمع القرآن على عهد أبي بكر حيث جمع في صحف كانت عند أبي بكر حتى توفي ثم عند عمر ثم عند حفصة بنت عمر زوج النبي صلى الله عليه وسلم، رضي الله عنهم.ويسمى هذا العصر بالجمع الثاني لأنه جاء بعد جمع عهد النبي قبل وفاته .

خلافة عثمان

ولما كانت خلافة عثمان رضي الله عنه وفتح الله على المسلمين بلادا واسعة ودخل في الإسلام كثير من غير العرب، وزاد ذلك انتشار الصحابة

في الأمصار على عهد عمر حيث كان لكل صحابي مصحف خاص به دون فيه قراءته التي سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقره على ذلك. وصار يقرأ بها ويعلمها على طريقته؛ وبهذا قرأ كل أهل مصر بما حفظوه من الصحابة أمثال : أبي موسى الأشعري وعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب رضي الله عنهم جميعا. وغيرهم كثير.وقرأ أهل الكوفة بقراءة عبد الله بن مسعود، وقرأ أهل الشام بقراءة أبي بن كعب وقرأ أناس كثيرون بقراءة أبي موسى الأشعري، وقرأ كل قوم بما سمعوه من الصحابة فاختلفوا في قراءة القرآن ، وصادف ذلك أن حذيفة بن اليمام حضر فتح أذربيجان وأرمنية من أرض الشام ورأي حدة الاختلاف بين الناس، حيث يقول أحدهم قراءتي أصح من قراءتك فأفزعه ذلك وخشي حدوث الفتنة بين الناس فقدم إلى عثمان رضي الله عنه وقال له أدرك أمر هذه الأمة قبل أن تختلف اختلاف اليهود والنصارى. يوضح هذا ما رواه أبو داود عن طريق أبي قلابة أنه قال :"لما كانت خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل، والمعلم يعلم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين حتى كفر بعضهم بعضا فبلغ ذلك عثمان فخطب فقال : أنتم عندي تختلفون فمن نأى عني من الأنصار أشد اختلافا ثم جعل الخليفة عثمان رضي الله عنه يجمع عليه القوم ويستشيرهم في جمع القرآن على مصحف واحد، وانتهى الرأي بالإجماع إلى جمع القرآن في مصحف واحد يجمع عليه الأمة ويحرق بقية الصحف حتى لا يختلط الأمر ويختلف الناس ويرأب الصديح ويجبر الكسر، والقصة كما هي يرويها البخاري في صحيحه فيقول :"حدثنا موسى: حدثنا إبراهيم : حدثنا ابن شهاب : أنس بن مالك حدثه: أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان ، وكان يغازي أهل الشام في فتح إرمينية وأذربيجان مع أهل العراق .فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة ، فقال حذيفة

لعثمان: يأمير المؤمنين ، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب ، اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى حفصة : أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق". (07)

وأخيرا اجتمعت الأمة على هذا المصحف وجرد المصاحف من النقط والشكل ليحملها ما صح نقله وتثبت تلاوته عن النبي صلى الله عليه وسلم إذ كان الاعتماد على الحفظ لا على مجرد الخط

المسألة الثانية : أركان القراءة الصحيحة والمتواترة

الحديث عن القراءة المتواترة أو الصحيحة يفرض عليها ابتداء التفرقة بين القراءة والقرآن حتى لا يختلط الأمر ويختفي الإشكال الذي قصدته من خلال البحث لذا فإني أعالج في هذه المسألة نقطتين.

النقطة الأولى : الفرق بين القراءة والقرآن

من المسائل التي ناقشها العلماء في هذا المجال مسألة الفرق بين القراءة والقرآن، وجاءت أقوالهم على النحو الآتي:

- **القول الأول** : اعتبار القرآن والقراءات حقيقتين متغايرتين وقد ذهب إلى هذا الرأي محمد عبد الله الزركشي في كتاب البرهان (08) وتبعه القسطلاني في لطائف الإشارات(09) وتبنى القول من المعاصرين صبحي

الصالح (10) والسيد أبو القاسم الخوني في كتابه "البيان في تفسير القرآن" والسيد إبراهيم الأبياري في الموسوعة القرآنية .

- **القول الثاني** : اعتبار القرآن والقراءة حقيقة واحدة بشرط.

وقد اعتبر جمهور العلماء والمقرئين القراءة قرآن بشرط توافر أركان القراءة الصحيحة أو المتواترة وهو مذهب جمهور العلماء.

- القول الثالث : اعتبار القراءات حقيقة واحدة بدون شرط .

حيث اعتبر أصحاب هذا الرأي القراءة التي تخلف منها شرط أو ركن من القرآن بما في ذلك القراءة الشاذة وقد ذهب إلى هذا ابن دقيق العيد.

وإن كنت لست ههنا بصدد الترجيح إلا أنه لا يفوتني أن أحدد الرأي الراجح في المسألة باعتبارها جوهر الإشكالية المقصودة من البحث.

إن استقراء أدلة الفرق الثلاثة ومناقشتها يوضح أن مذهب الجمهور هو الراجح بأدلته وإن كان لنا بعض التحفظات على أدلتهم.

إلا أن اعتبار القراءات قرءانا أمر يجب أن يعتمد ويرجح على غيره لاعتبارات متعددة نذكر منها.

- أن القراءات متواترة بالإجماع
- إن تواترها مقطوع بها
- أنها خارجة عن الاجتهاد الظني
- أن أدلة غير الجمهور عليها إيرادات متعددة لا ترقى إلى الحجة القطعية

النقطة الثانية :أركان القراءة المتواترة والصحيحة

قسم العلماء القراءات إلى قسمين معتمدين في ذلك ثلاثة أركان هي :

1-السند 2-الرسم 3-اللغة

أ-**المتواترة:** هي كل قراءة وافقت العربية مطلقا ،وافقت المصاحف العثمانية ولو تقديرا، وتواتر نقلها .

فالقراءة التي توافرت على هذه الأركان الثلاثة متواترة مقطوع باتصالها بالنبي صلى الله عليه وسلم لفظا وخطا سواء تواتر نقلها أم استفاض(11) .

ب-**الصحيحة** : وتنقسم إلى قسمين :

1- الجامعة للأركان الثلاثة وهي :

ا-صحة السند.

ب-موافقة العربية ولو تقديرا.

ج-موافقة المصحف العثماني ولو احتمالا(12).

وهذه بدورها تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول :المستفيضة : وهي التي استفاض نقلها و تلقتها الأمة بالقبول و يمثل لها ابن الجزري بما انفرد به بعض الرواة أو بعض المصادر المعتمدة

ويلحق هذا القسم بالقراءة المتواترة وان لم يبلغ مبلغها ،وذلك لاستفاضة ،واقترانه بما يفيد العلم باتصاله برسول الله صلى الله عليه وسلم .

القسم الثاني :غير المستفيضة ،و هي عكس المستفيضة وهي موضع خلاف في قبوله عند المقرئين .

ويحددها ابن الجزري بـ : أ ـ ما صح سندها

ب ـ ما وافقت العربية

ج ـ مخالفة الرسم

ويمكن تمثيلها بالشكل التالي :

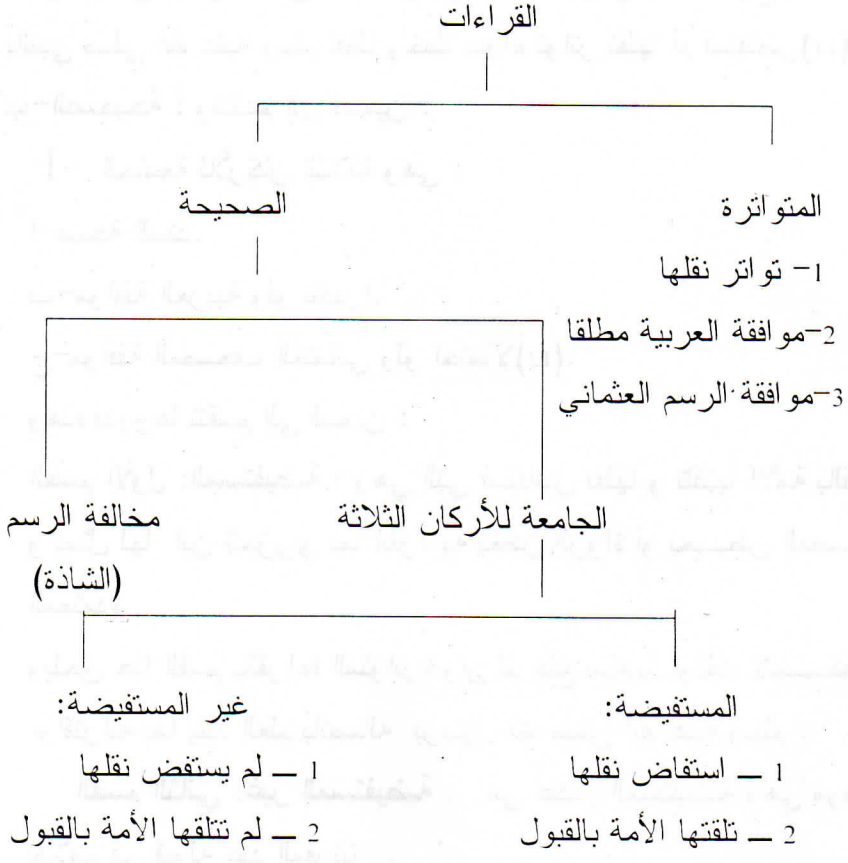
القراءات
المتواترة
1- تواتر نقلها
2-موافقة العربية مطلقا
3-موافقة الرسم العثماني
الصحيحة
الجامعة للأركان الثلاثة
مخالفة الرسم
(الشاذة)
المستفيضة:
1 ــ استفاض نقلها
2 ــ تلقتها الأمة بالقبول
غير المستفيضة:
1 ــ لم يستفض نقلها
2 ــ لم تتلقها الأمة بالقبول

وحيث أني رجحت القول بان القراءات و القرآن حقيقة واحدة لذلك فأني أتعرض إلى الحديث عن أركان القراءة المتواترة وهي :

1- تواتر النقل .

2-موافقة العربية .

3- موافقة الرسم العثماني .

فالتواتر: هو نقل جماعة عن جماعة تحيل العادة تواطؤهم على الكذب من أول السند إلى منتهاه(13)

وموافقة العربية :أي موافقة القراءات للقواعد والأراء النحوية المستقاة من النطق العربي الفصيح.

و فيما أخاله أن هذا الركن إنما وضع من باب الوقاية ، وإلا فما معنى التواتر المقطوع به إلى النبي صلى الله عليه وسلم ،فتوافر التواتر في القراءة يستلزم بالضرورة موافقة العربية .

موافقة الرسم العثماني : والمراد به أن توافق القراءة أحد المصاحف التي نسخها عثمان رضي الله عنه وأرسلها إلى الأمصار الإسلامية المختلفة كموافقة قراءة ابن كثير في سورة التوبة قوله تعالى :"جنات تجري من تحتها الأنهار"(14).بزيادة لفظ من فإنها موافقة للمصحف الذي أرسل إلى مكة المكرمة .

إن اشتراط ركن مطابقة الرسم العثماني قائم على أن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه عندما أمر بتوحيد المصاحف و كتابتها استهدف أن ينطوي مرسوم المصاحف على جميع الأحرف التي استقر القرآن عليها بعد العرضة الأخيرة .

و بغية المحافظة على القراءات المتواترة وتسرب ما ليس منها إليها قاموا بإحصاء جميع الحروف المخالفة للرسم العثماني و النص عليها في مصنفاتهم حتى تسلم القراءة من كل تحريف ، واشترطوا قبل النظر في المصحف ضرورة تعلم القراءة على وجهها وبتعبير أدق "تعلم مرسوم المصحف"، جاء في غيث النفع "لا يجوز لأحد أن يقرأ بما في المصحف إلا بعد أن يتعلم القراءة على وجهها، أو تعلم مرسوم المصحف وما يخالف منه القراءة، فإن فعل غير ذلك فقد خالف ما أجمعت عليه الأمة"(15).

حكم الإخلال بأحد الأركان الثلاثة.

وإذا كان الخلاف في كتابة القراءة والقرآن قديما أحدث فتنة دفعت بحذيفة بن اليمان أن يشير على الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنهما باتخاذ الموقف اللازم حتى لا يقع الاختلاف والتكفير، واستوجب بذلك جمع الأمة على مصحف واحد.

فإن الدعوة اليوم إلى ضرورة الالتزام بالرسم العثماني أو كد من أي زمن مضى ، ذلك أن إهمال الرسم العثماني زلة للتحريف المقصود وغير المقصود، وهذا يستلزم ضرورة الالتزام به.

ألا ترى أن الزمان قد استدار فكثر منه بذلك الإدخال والتحريف، وقل فيه الضبط وفسد اللسان العربي وكثر فيه الخرق والخلط. الأمر الذي يدفعنا إلى القول بالمنع عموما، أي عدم جواز كتابة الآيات القرآنية إلا بالرسم العثماني كما وصلت إلينا بدون تغيير أو حذف أو إبدال.

إن القول بأن الرسم العثماني توقيفي يستلزم عدم جواز تغييره بحال من الأحوال وهو رأي الجمهور.

والأدلة على ذلك كثيرة نذكر فيها على عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

كان له صلى الله عليه وسلم كتاب خصهم بكتابة الوحي على هذا الرسم و اقرهم عليه، ولم ينتقل الرسول صلى الله عليه وسلم حتى اكتمل القرآن على صورته النهائية التي تمت في العرضة الأخيرة وعلى الكيفية المخصوصة.

كتابة الآيات القرآنية على خلاف الرسم العثماني في الكتب والرسائل الجامعية والمجلات الشرعية أول زلة لتحريف القرآن

المستقرئ لأغلبية الكتب المطبوعة منها يلاحظ كثرة الأخطاء المطبعية التي كثير ما تغير المعنى العام للفكرة المطروحة من قبل المؤلف ، الأمر الذي يفرض علينا قدرا من المراجعة وإعادة النظر دائما في المخطوط والمطبوع، وليت شعري لو أن الأخطاء توقفت عند هذا الحد بل تجاوزته إلى الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وأقوال السلف، والخلف، فأنت ترى الباحث أو الكاتب يكتب العبارة مستشهدا فيها تارة بأقوال السلف وأخرى بالنصوص، وعلى عجالة من أمره يهمل التوثيق، وإن عمد إليه فتراه يحيلك على مرجع معتمد على غيره عن طريق الواسطة وتجاوز الأمر هذا إلى الآيات حيث يأخذها عن طريق الواسطة .فيقع فيما لا يحمد عقباه .

وقد لمسنا هذا ونحن نناقش بعض الكتب أو الأطروحات الجامعية حيث وقعت أيدينا على كثرة الأخطاء المطبعية بل حتى اللغوية في نقل بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية . وهذه أول زلة للتحريف يلتقطها الأعداء للاستشهاد والطعن بها.

ولطالما أرهقتني إشكالية الالتزام بالرسم العثماني في المخطوطات والرسائل وعلى الخصوص الرسائل الجامعية في ميدان العلوم الإسلامية والكتب الإسلامية.

الأمر الذي يدفعني دائما في المناقشات العلنية للأطروحات الجامعية الخاصة بالبحوث الإسلامية التأكيد على ضرورة الالتزام بالرسم العثماني خشية الوقوع في الأخطاء في كتابة الآيات حتى ولو سلمت من الأخطاء المطبعية .

ألا ترى أن أهل العلم منعوا التلفيق في حفظ الآيات "الجمع بين الروايات ناهيك عن القراءات". وجعلوه من أنواع اللحن الجلي الذي يحرم . فكيف بالذي ينقل الآية ولا يراعي المد والإمالة...

إن نقل الآيات في الرسائل الجامعية والكتب والمجلات بالرسم العثماني بات من الأمور المهمة الذي لا يجوز التغاضي عنه خاصة بالنسبة لطلبة العلوم الإسلامية في رسائلهم الجامعية.

إن دعوتنا إلى ضرورة اعتماد الرسم العثماني في الرسائل الجامعية والكتب الإسلامية عمل وقائي من دخول غير الأحرف العثمانية في الآيات القرآنية وكذا تسرب القراءات غير المتواترة والشاذة والصحيحة غير المستفيضة إلى القراءات المتواترة.

ألا ترى أن العلماء نصوا في غيرما موضع على عدم جواز القراءة إلا بما في المصحف العثماني وسموا ذلك خرق للإجماع جاء في غيث النفع قول الشيخ محمد بن الحاج :"لا يجوز لأحد أن يقرأ بما في المصحف إلا بعد أن يتعلم القراءة على وجهها، أو يتعلم مرسوم المصحف وما يخالف منه القراءة ، فإن فعل غير ذلك فقد خالف ما أجمعت عليه الأمة"

فاعتماد كتابة الآيات القرآنية على الرسم العثماني ركن عتيد في قبول النص القرآني والحفاظ عليه وهو عمل وقائي من تحريف خط القرآن عن أصله المعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم . ألا ترى أن عثمان بن عفان رضي الله عنه حين انتهى رأيه إلى جمع القرآن في مصحف واحد أمر

بحرق بقية الصحف وإلغاء ما ليس كذلك خشية أن يلحق ما ليس منه لما ثبت عنده أن هذه الحروف من عند الله عز وجل كذلك منزلة، ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسموعة، فأثبتها كما هي لتحفظها الأمة كما نزلت من عند الله عز وجل .

وقد تثار ههنا إشكالية مفادها :هل الرسم العثماني توقيفي أو توفيقي وهو من المباحث التي أثارها أهل العلم وناقشوها بحدة واتضحت معالمهم في ذلك فمنهم من رأى أن الرسم العثماني توقيفي ومنهم من رأى أنه توفيقومنهم من منع ذلك وإن كنت أميل إلى القول بأنه توفيقي فإن الإجماع الذي انتهت إليه الأمة بضرورة اعتماد الرسم العثماني يزيد رجحان القول بضرورة اعتماد الرسم العثماني في كتابة ألفاظ وكلمات القرآن الكريم، بل إن العالم والمتعلم في جميع بلاد العالم يقرأون القرآن وينسخون على الرسم العثماني ويعتبرون المخالف في ذلك خرق للإجماع. وبهذا صار الرسم العثماني تابع للقرآن وهو خاصية من خصائصه الأساسية التي لا يجوز التخلي عنها ولا التساهل في إسقاطها

وإن التغاضي والتساهل في مخالفة الرسم العثماني يعد في تقديري من أشد المصائب والنكبات التي تضرب الأمة في أعز مصدرها وهو القرآن الكريم . ولا أظنني مبالغا إن قلت إن التساهل في كتابة ألفاظ وكلمات القرآن على غير شكله ورسمه المجمع عليه هو بمثابة فتح لباب لا يسلم فاتحه ولن تسلم الأمة منه خاصة في زماننا الذي قل فيه الحفظ والضبط وكثر فيه التدليس والخلط .

الخاتمة :

إن قولنا بالمنع في كتابة كلمات القرآن بالرسم العثماني هو امتداد وتذكير بأقوال السلف والخلف فقد نقل عن الأئمة ذلك في غير ما وضع.

قال الإمام أحمد بن حنبل : تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ألف أو باء أو غير ذلك .

وقال مالك عندما سئل : أرأيت من استكتب مصحفا أيرى أن يكتب على ما استحدثه الناس من الهجاء اليوم ، فقال لا أرى ذلك ولكن يكتب الكتبة الأولى وهو مذهب الشافعية والحنفية .

وقد أصدر مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف في المؤتمر الرابع قرارا بعدم صحة طبع القرآن الكريم بغير الرسم العثماني.

قلت وفي هذا دلالة على ضرورة الحفاظ على رسم القرآن وخطه، وإن كان المجمع الفقهي أجاز ذلك في غير المصحف، إلا أن الجواز الذي استثناه المجمع يرتبط أساسا بالحفظة من أبناء زماننا لا بالناقلين الذين قل عندهم الضبط حتى في النقل الحرفي للكلمات.

ألا ترى أن الناقلين في زماننا لا يحسنون الضبط في النقل ناهيك عن الدقة في اللغة وقواعدها، إضافة إلى أن حرفة الكتابة والنقل صارت مادية بحته الأمر الذي يزيد في هوة الأخطاء والمطابقة لرسم القرآن ومعانيه الأصلية.

لذا فإن دعوتنا إلى ضرورة الالتزام بالرسم العثماني في كل ما يكتب من كلمات القرآن في الرسائل الجامعية خصوصا(العلوم الإسلامية) والكتب الإسلامية وغيرها. صارت من الأمور التي يجب أن تعقد لها ندوات مؤتمرات وملتقيات علمية جادة تثير فيها هذه المسالة وتدرس بحيطة وجدية. بل وتوجه إليها همم الباحثين لكتابة رسائل جامعية أكاديمية جادة. تطرح فيها الإشكالية وتجيب فيها عن الأسئلة المطروحة وتصل فيها إلى نتائج علمية هادفة.

الهوامش

1 ــ رواه البخاري

2 ــ رواه مسلم

3 ــ رواه البخاري

4 ــ رواه البخاري

5 ــ رواه أبو داود

6 ــ أنظر جمال القراء للشخاوي

7 ــ رواه البخاري

8 ــ البرهان 1 / 318

9 ــ لطائف الإشارات 1 /171

10 ــ مباحث في علوم القرآن

11 ــ منجد المقرئين 15

12 ــ منجد المقرئين 16

13 ــ الكفاية في علم الرواية للبغدادي 50

14 ــ سورة التوبة

15 ــ غيث النفع في القراءات السبع علي النوري الصفاقسي 74

المصادر والمراجع:

1 ــ الأمانة في معاني القراءات ــ مكي بن أبي طالب القيسي 437 هـ

2 ــ الإتقان في علوم القرآن ــ السيوطي 911 هـ

3 ــ البرهان في علوم القرآن ــ الزركشي 794هـ

4 ــ تاريخ القراءات ــ أبو عبد الله الزنجاني

5 ــ تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه محمد الطاهر بن عبد القادر الكردي المالكي الخطاط

6 ــ التيسير في القراءات السبع ــ أبو عمر وعثمان بن سعيد الداني 444هـ

7 ــ الحجة في علل القراءات السبع : أبو علي بن أحمد الفراسي 377هـ

8 ــ رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات ــ د / عبد الفتاح إسماعيل شلبي.

9 ــ السبيل إلى ضبط كلمات التنزيل ــ أحمد محمد زيتهار

10 ــ سراج القارئ المنتهي علي بن القاصح البغدادي

11 ــ صحيح البخاري

12 ــ صحيح مسلم

13 ــ فتح الباري

14 ــ لطائف الإشارات لفنون القراءات ــ شهاب الدين القسطلاني 923

15 ــ مباحث في علوم القرآن ــ د / صبحي الصالح

16 ــ منجد المقرئين ــ ابن الجزري 833 هـ

17 ــ النشر في القراءات العشر ــ ابن الجزري ــ

18 ــ حرز الأماني ووجه التهاني للإمام الشاطبي 538